أهمية مشروع البحث في الدراسات النفسية

– التصور و الإعداد–

د. بشلاغم يحي جامعة تلمسان

ملخص

يتطلب انجاز البحث العلمي في مجال علم النفس إعداد خطة منهجية علمية، من خلال تصور و تحديد مشروع يوضح من خلاله الباحث بالتدقيق طبيعة المشكلة التي ينوي دراستها، محددا لخلفياتها و موضحا لطرق و أساليب معالجتها، ممّا يؤهل ذلك المشروع لان يصبح وثيقة عمل و دليل منهجي، يرسم من خلاله الباحث توقعاته حول كيفية انجاز دراسته عبر مختلف مراحلها.

و نظرا لذلك يجب أن يولى إعداد مشروع البحث الأهمية اللائقة، باعتباره يشكل أولى خطوات البحث العلمي ، وأن يكون محتواه دقيقا، من خلال تقديم وصف تفصيلي لجميع خطوات البحث، خاصة ما تعلق بجانبه الميداني.

فكيف يمكن اقتراح نموذج لمشروع البحث؟ و ما هي عناصره الأساسية و الأغراض التي يخدمها في مجال البحث؟

مقدمة:

يبدأ عادة البحث بحثه بعد اختياره لمشكلة معينة للدراسة و اقتراح مشرف غليها بإعداد خطة مقترحة للانجاز ذلك البحث، يوضح فيها بالتدقيق مشكلة بحثه و الخطوات و الأساليب التي سوف يتبعها في دراستها، ممّا يزيد من أهمية ايلاء هذا الجانب العناية اللازمة، ذلك إن صياغة مشروع البحث تتطلب تفكيرا و نفاذ رؤية و قدرة على رسم إطار عام للموضوع، و تحديد الأساليب المنهجية و الفنية للدراسة، ممّا يعني ضرورة صياغة مشروع البحث في صورة دقيقة ومنظمة.

إن صياغة مشروع البحث بالكيفية المطلوبة يساعد الباحث على حسن مناقشة موضوع بحثه مع مختلف الإطراف، و على رأسهم المشرف على بحثه، ممّا يمكنه من توضيح معالمه وأساليب تنفيذه.

إن إعداد خطة مشروع البحث يتطلب الاطلاع على الدراسات السابقة و مختلف النظريات ذات الصلة المباشرة بالموضوع، أو تلك التي تتناول بعض الجوانب المرتبطة به، أي الرجوع إلى الخلفية

النظرية للبحث، لما لذلك من أهمية في تحديد الإشكالية و صياغة الفرضيات و اقتراح التناول المنهجي للدراسة، كما أن الباحث بعد استعراضه و تفحصه لما تمّ انجازه و كتابته سابقا، يستطيع تحديد عنوان بحثه و خطته الأولية، أو ما تعارفنا على تسميته بمشروع البحث.

1- تعريف مشروع البحث:

يمكن تعريف مشروع البحث بأنه عرض مفصل لموضوع الدراسة من مختلف جوانبها وتوضيح الخطة المنهجية المقترحة لانجازه، حيث هو عبارة عن تقرير أولي للتعريف بموضوع البحث يمثل وثيقة عمل و دليل منهجي يرسم من خلاله الباحث توقعاته حول كيفية انجاز دراسته عبر مختلف مراحلها.

2- أهداف صياغة مشروع البحث:

لصياغة مشروع البحث عدة أهداف يسعى الباحث إلى تحقيقها، يمكن توضيحها فيما يلي:

- يشكل وثيقة عمل هامة و أساسية لمناقشة موضوع البحث مع المشرف و الهيآت الأكاديمية أو الجهات الممولة للبحث.
- الحصول على موافقة لجنة المشاريع، سواء أكانت مشاريع بحث أكاديمية (ماجستير ودكتوراه مثلا) ، أو مشاريع بحث ذات طابع اقتصادي و نفعي.
- الاحتفاظ به كإطار مرجعي يساعد الباحث على عدم الانحراف و الخروج عن المسار المحدد للدراسة، أي البقاء ضمن الحدود التي رسمها لبحثه.
- الاحتفاظ به كإطار و دليل منهجي للإثراء و المناقشة مع مختلف الباحثين و الأساتذة، ذلك أن مناقشة الباحث للموضوع مع المشرف أو غيره شفويا يجعله ينتقل من فكرة لأخرى بشكل تتداخل فيه المفاهيم و الفرضيات و المتغيرات، ممّا يصعب من تحديد الموضوع والتحكم في جوانبه.
- يساعد على عرض موضوع الدراسة و الخطة المقترة لانجازه، من خلال تحديد جوانبه الأساسية و أهم العناصر المرتبطة به.
- يساعد الباحث على حصر أهداف بحثه بدقة، و تحديد خطوات تناوله المنهجي.

3- عناصر مشروع البحث:

يمكن تحديد أهم عناصر مشروع البحث في الجوانب التالية:

1.3العنوان:

يعتبر العنوان عنصرا هاما للتعرف على طبيعة موضوع البحث، و لذلك يجب أن يعبّر بدقة وضوح و إيجاز عن طبيعة الدراسة و مجالها.

و من بين الاعتبارات التي يجب مراعاتها عند تحديد و كتابة العنوان ما يلي :

الاختصار، الوضوح، الابتكار، الجاذبية.

و لقد حدّد فان دالين -- Van Daleen - أهم الاعتبارات الواجب توفرها في عنوان البحث فيما يلي: (ذكر في : جابر عبد الحميد جابر و احمد خيري كاظم،2002: 61)

– أن يحدد العنوان ميدان المشكلة تحديدا دقيقا.

– أن يكون موجزا و وصفيا بدرجة كافية تسمح بتصنيف الدراسة في فئتها المناسبة.

– أن يتجنب عند كتابته الكلمات التي لا لزوم لها، أو العبارات الناقصة و المضللة.

2.3– المقدمة:

تعتبر المقدمة مدخلا أساسيا للتعريف بالموضوع، حيث يحاول الباحث من خلالها جلب اهتمام القارئ عن طريق إبراز بعض المؤشرات التي توضّح الحاجة الملحة لمعالجة ذلك الموضوع و مدى أهميته.

يشير الباحث بإيجاز في المقدمة إلى ما كتب سابقا حول الموضوع، مبرزا أهم الدراسات و البحوث السابقة، موضحا الصلة بينها و بين الموضوع الذي يقترحه للدراسة و البحث، وذلك ما يساعده على إبراز الخلفية النظرية لبحثه.

و بعد استعراض الدراسة التاريخية لتلك الكتابات و الدراسات، يجتهد في إبراز النقطة التي أو المجال الذي سينطلق منه لبدئ دراسته المقترحة، فالباحث مهما كانت قدرته و مكانته عليه أن يسعى لبدئ دراسته من حيث انتهى من سبقه بالبحث، حتى يتمكن بذلك من إضافة الشيء الجديد للمعرفة العلمية.

و بالرغم من اختلاف مواضيع البحث و تعددها في مجال العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، فهي لا تخلو من مقدمة حول الموضوع، و بذلك فهناك ثمة عناصر و نقاط يجب أن تضمها المقدمة مهما اختلفت المواضيع ، و التي يمكن توضيحها كما يلي:

– أن تشكل رسما عاما لإطار البحث (عرض مختصر لتحديد الموضوع)

– أن تساعد على إظهار أهميته، أي الأهمية العلمية و التطبيقية لإجراء الدراسة، و توضيح المبررات الموضوعية التي تؤكد على أهمية البحث و تدعو للقيام به.

– أن تحدّد معالمه.

– أن تحدد إلى أي مدى وصلت المعرفة العلمية حول الموضوع (نتائج البحوث و الدراسات السابقة، ما نشر و كتب سابقا حول الموضوع...)

– أن تضمّ دوافع و أسباب اختيار الموضوع

– أن تظهر محتويات البحث من خلال إعطاء فكرة موجزة عن أبوابه أو فصوله و محتوياته.

3.3– إشكالية البحث:

تعتبر عملية تحديد مشكلة البحث خطوة هامة في عملية انجازه، لما يترتب عليها من سلامة و وضوح الخطوات اللاحقة لانجاز البحث مثل: تحديد الفرضيات، اختيار العينة، تحديد و تصميم و سائل جمع المعطيات و اختيار المنهج المناسب للدراسة.

و يسعى الباحث في هذا الجزء من مشروع البحث إلى طرح الموضوع و توضيح المشكل بشكل محدّد و جيّد، بحيث يصور للقارئ مشكل فعلي و يقنعه به، و نظرا لذلك فلا يجب عليه أن يطرح أي مشكل، و بأي كيفية، بل يجب أن يكون المشكل علمي و قابل للدراسة و البحث.

و محاولة منه لتحديد إشكالية بحثه في مشروع البحث، يجب على الباحث أن يصيغها بشكل لا تظهر معه على أنها متعددة الجوانب كثيرة التفاصيل، أو ضيقة و محدودة للغاية بحيث يصعب فهم المقصود منها في دقة و وضوح، فعلى الباحث إذن أن يصل إلى تحقيق نوع من

التوفيق بين العمومية و الشمولية من ناحية، وبين الخصوصية و التضييق من ناحية أخرى، على أن يتجنب في كتابة الإشكالية استعمال الكلمات الزائدة التي لا تساهم إلا بالحشو.

إن تضييق حدود الإشكالية إلى الحجم الذي يمكن من خلاله العمل، يعتبر غاية في الأهمية من الناحية المنهجية، و لعلّ أحسن طريقة لتضييق حدود الإشكالية تتمثل فيما يلي:

- صياغتها على شكل سؤال أو أسئلة محددة، ممّا يضطر الباحث للبحث عن إجابات واضحة و محددة لها.
- تحديد و تعريف معنى المصطلحات المستخدمة في صياغتها تعريفا إجرائيا بالشكل الذي يمكّن الباحث من القياس.

يجتهد الباحث في هذا الجزء من المشروع في توضيح الفجوات العلمية و المعرفية التي لا زالت الدراسات و البحوث لم تتوصل إلى ملئ فراغها و سدّها بالكيفية اللازمة، و يوضح في نفس الوقت كيف يعتزم كباحث المساهمة في ملئ تلك الفراغات و الفجوات، و بالتالي إضافة الشيء الجديد للمعرفة العلمية.

4.3- فرضيات البحث:

تعتبر الفرضية تفسير أو حل مؤقت للمشكلة التي يقوم الباحث بدراستها، غير أن دراستها تحتاج إلى تحقيق و إثبات من خلال القيام بالدراسة الميدانية، فالفرضية بذلك هي تخمين يتبناه الباحث مؤقتا لتفسير الظاهرة التي يريد دراستها، كما يمكن أن تعرّف على أنها إجابات مبدئية عن الأسئلة المطروحة في الإشكالية.

و يلجا الباحث لصياغة الفرضيات في مشروع بحثه كونه يعتقد بان لها صلة مباشرة بتفسير أو حل مشكلته و الإجابة على اشئلتها أو تحليل أسبابها.

و حتى ترقى فرضيات الباحث إلى مستوى الفرضية العلمية، ثمة شروط يجب توفرها فيها، و التي يمكن ذكرها فيما يلي:

– الإيجاز و الوضوح: أي أن تكون الفرضية واضحة و بسيطة في صورة علاقة بين متغيرين أو متغيرات معينة.

– أن لا تكون متعارضة مع قوانين الفكر و المنطق: أي أن تكون متسقة مع الحقائق المعروفة، سواء أكانت بحوثا أو نظريات علمية.

– أن تكون الفرضية قابلة للاختبار: فالفرضية الغيبية أو الغامضة أو الميتافيزيقية يصعب اختبارها و التحقق منها.

– أن تكون خالية من التناقض و اللبس و الغموض.

– أن تتحدد المفاهيم المستخدمة في صياغتها تحديدا دقيقا، و أن تعرّف تعريفا إجرائيا.

و لقد حدد بورج و جول– Borg & goll– أربعة معايير لصياغة فرضيات البحث هي: (ذكر في محمود عبد الحليم منسي،2003:55)

– أن تحدّد ما يتوقع الباحث أن به حلا لمشكلته.

– أن تستمد من أسس و براهين علمية.

– أن تكون قابلة للاختبار الإحصائي.

– أن تكون واضحة و محددة في صياغتها، بحيث تكون الصياغة مختصرة.

5.3– تحديد المفاهيم و المصطلحات المستخدمة في الدراسة:

تتميز العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية عموما بغموض المصطلحات و عدم توحيدها في كثير من الأحيان أكثر مما هو عليه الحال في العلوم الأخرى، نظرا لارتباط بعض الكلمات و المصطلحات بمعان مختلفة لدى الأفراد، ممّا يتطلب من الباحث أن يهتم بالمعاني الدقيقة للمصطلحات و المفاهيم التي يستخدمها في بحثه.

و حتى يحقق الباحث ذلك عليه أن يجتهد في تحديد مصطلحات بحثه و تحديدها تحديدا دقيقا وبطريقة سلوكية أو إجرائية.

6.3– طريقة و خطوات البحث:

يحدد الباحث في هذا الجزء من مشروع البحث الخطوات و الإجراءات التي سوف يتبعها في بحثه و التي تشمل ما يلي:

1.6.3– حدود البحث: يتم في هذا الجانب ذكر الحدود الزمنية و الحدود المكانية و الحدود البشرية و الحدود المالية لبحثه، و ذلك كما يلي:

– الحدود الزمنية: أي أن يحدد الفترة التي سوف يجري فيها البحث، ومن الأحسن أن يحدد رزنامة زمنية مفصلة لمختلف العمليات و النشاطات التي سوف يقوم بها.

– الحدود المكانية: أي أن يوضح المكان الذي سوف يتخذه مجالا جغرافيا لدراسته وخصائصه.

– الحدود البشرية: أي أن يوضح العينة التي سوف يتخذها مجالا بشريا لدراسته، من حيث نوعها و عددها و بعض مميزاتها و خصائصها، كما يحدد بالتفصيل أساليب اختيار عينته، سواء أكانت عينة احتمالية أو عينة لا احتمالية، مع تحديد الخصائص و المعايير التي تميز عينته.

– الحدود المالية: من المعروف أن لكل بحث كلفة مادية تنفق في سبيل انجازه، و لذلك يجب على الباحث أن يحدد التكاليف المالية الضرورية لإتمام البحث و انجازه، خاصة إذا كان البحث سيمول من جهات خارجية عن الجامعة أو في إطار مشاريع البحث الجامعية أو تلك المعتمدة على مستوى مخابر البحث.

2.6.3– وسائل و أدوات جمع المعطيات: حيث على الباحث أن يحدد الوسائل و الأدوات التي سوف يستخدمها لجمع معطياته، على أن يشير إلى كيفية تحقيق معايير مقبولة لها من حيث الموضوعية و الدقة و الصدق و الثبات، بمعنى أن يوضح كيف سيقوم بقياس خصائصها السيكوميترية من صدق و ثبات، ممّا يزيد من درجة الوثوق فيها و فيما سيجمع من معطيات من خلالها.

و على ذكر أدوات جمع المعطيات، يجب نشير إلى أن الباحث مطالب في حالة ما إذا كان سيستخدم اختبارا أو رائزا معينا أو استمارة مثلا أن يرفق المشروع بنماذج منها.

أما إذا كان البحث لا يتطلب استخدام مثل تلك الوسائل و الأدوات، فعلى الباحث أن يوضح مصادر الحصول على بياناته و يعطي الضمانات الكفيلة بالوثوق في صحتها.

3.6.3– أساليب تحليل المعطيات: يوضح الباحث في هذا الجزء من المشروع الأساليب والطرق الإحصائية التي ينوي استعمالها لمعالجة المعطيات و تحليلها و تفسيرها، كأن يحدد إذا كان

سيستخدم أساليب تحليل المحتوى أو الأساليب الإحصائية المختلفة، كأساليب الإحصاء الاستدلالي المختلفة مثلا، مع تبرير أسباب اختياره لها دون سواها.

4.6.3- تحديد نوع البحث و منهجه: إن تحديد نوع البحث و منهجه يعتبر شرطا أساسيا وضروريا يجب توضيحه في مشروع البحث، ذلك أن إجراءات البحث المقترحة في التصميم المنهجي لحدود البحث، و أساليب و أدوات جمع المعطيات و أساليب تحليلها و استخلاص نتائجها يتوقف على طبيعة البحث و نوعه.

إن تحديد نوع البحث خطوة أساسية في التصميم المنهجي، حيث أنها تساعد على تحديد الخطوات الضرورية لدراسة موضوع البحث ، كما تساعد أيضا على تحديد منهج البحث الذي سوف يستخدم.

إن تحديد منهج البحث يعد خطوة غاية في الأهمية لما يترتب عليها من تحديد أدوات جمع المعطيات و أساليب تحليلها و التصميم المنهجي للبحث و غيرها من الخطوات المنهجية الميدانية ذات التأثير المباشر على موضوعية و سلامة النتائج التي سوف يتوصل إليها البحث.

7.3- وضع تصور هيكلي للبحث:

يتضمن هذا الجزء من المشروع وضع تصور عام لهيكل البحث، من حيث أبوابه وفصوله وعناوينه الأساسية و ترتيبها بشكل منهجي و متناسق.

كما يمكن أن يضع الباحث في هذا الجزء قائمة بالمراجع التي سوف يعتمد عليها و التي تشكل إطاره النظري أو خلفية بحثه النظرية.

الخلاصة:

من خلال ما تمّ استعراضه، يمكننا أن نؤكد على أن مشروع البحث هو عبارة عن سلسلة من الخطوات المحددة لانجاز البحث، أو هو عبارة عن مخطط دقيق و شامل لمختلف مراحل البحث.

و من الأهمية بما كان أن نشير إلى أن تصميم مشروع البحث يبقى في شكله المقدم قابلا للتغيير و التعديل كلما تقدمت الدراسة في انجازها، حيث قد تظهر للباحث جوانب جديدة لم تكن معروفة لديه، أو قد تستجد ظروف غير متوقعة، ممّا يفرض تعديل الخطة المصممة، على أن

لا يمس ذلك التعديل جوهر الموضوع، و إلا اعتبر ذلك كدليل على عدم نفاذ رؤية الباحث و عدم وضوح تصوره لموضوع بحثه عند إعداده للمشروع.

أن نجاح البحث يتوقف على قدرة الباحث على اختيار و تحديد مشكلة قابلة للدراسة، ولكي ينجح في ذلك عليه أن ينجز بدقة خطة مفصلة لما سيقوم به من إجراءات و خطوات.

قائمة المراجع:

1- جابر عبد الحميد جابر، احمد خيري، مناهج البحث في التربية و علم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة،2002.

2- محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية و الاجتماعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،2002.

3- محمد مزيان، مبادئ في البحث النفسي و التربوي، الطبعة الأولى، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 1999.

4- محمود عبد الحليم منسي، مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية و النفسية، دار المعرفة الجامعية، الازريطة، الإسكندرية،2003.

5- عبد الفتاح محمد دويدار، مناهج البحث في علم النفس، الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية، الازريطة، الإسكندرية،2000.

6- عبد الله محمد عبد الرحمن، محمد علي البدوي، مناهج و طرق البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الازريطة، الإسكندرية،2004.